التجديد ونظام الحكم في فكر الشيخ محمد الغزالي

Renewal and governance in the thought of Sheikh Mohammed al-Ghazali

عبد الرحيم بوعيسي[1]

كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة

rahimuo022@live.fr

مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

تاريخ الوصول./ :2018/12/18 القبول: 2019/05/27 /النشر على الخط: 2020/03/15

Received: 18/12/2018 / **Accepted**: 27/05/2019 / **Published online** : 15/03/2020

ملخص:

رسخت فكرة التجديد عند الشيخ محمد الغزالي في شتى المجالات، فهو ينظر إلى الإسلام نظرة شمولية تكاملية، ما جعله يؤمن بأن هذا الدين مرن وقابل للتجديد في فروعه بتجدد الزمان وتتابع الأجيال، ويرتكز هذا التجديد على الثوابت العقدية التي لا تتغير، وبحكم أن مسالة الخلافة قد تناولها الفكر الإسلامي منذ نشأته ضمن المسائل الفرعية التي يمكن أن تتغير فقد شغلت حيزا من فكر هذه الشخصية البارزة .

في هذه الورقة يحاول الباحث أن يبين معنى التجديد عند الشيخ الغزالي وموقفه من نظام الحكم في الإسلام قديما وحديثا، وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى الحكم في عصرنا هذا؟

كلمات مفتاحية : محمد الغزالي – التجديد – الخلافة – نظام الحكم

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may Allah bless the Messenger of Allah and after:

Sheikh Muhammad al-Ghazali has created the idea of renewal in different fields and considers Islam as a global and integrated vision allowing him to believe that this religion is flexible and renewable in its branches by renewing the time and the following generations. renewal is based on immutable doctrinal constants. Islamic thought since its creation in the sub-questions that can change has occupied a space of thought of this figure forward.

In this article, the researcher tries to show the meaning of the renewal of Sheikh al-Ghazali and his position on the regime of Islam, both ancient and modern, and what conditions must be offered to those who govern in our time.

Keywords: Mohammed al-Ghazali - renewal - Caliphate - the system of government.

[1] المؤلف المرسل: عبد الرحيم بوعيسي الإيميل: rahimuo022@live.fr

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

تعد مسألة الخلافة من المسائل الحرجة التي تناولها الفكر الإسلامي قديما وحديثا، وعدها الكثير من الباحثين ضمن المسائل الفرعية التابعة لفقه السياسة الشرعية، غير أن الناظر إلى نتائجها على أرض الواقع يجدها عقدية بامتياز، وقد انجر عن الاجتهاد في هذه المسألة، وكيفيات إدارتها، وطرق اختيار الخليفة أو الحاكم أو الرئيس أحكاما عقدية وصلت حد التكفير ؛ بل وإنها إحدى الأسباب الرئيسية في تفرق كلمة المسلمين، وانقسام كيانهم على دول وطوائف شتى، وصار كل فريق يدعى أنه على المنهج الأسلم، فنسي الحاكم دوره، وظل المحكوم طريقه، ما جعل الشيخ الغزالي[1] يتناول هذه المسألة الحساسة من جذورها، محاولا في ذلك الوصول إلى الطريقة المثلى التي يمكن بها إعادة مجد الإسلام ودولته المنشودة، كل ذلك انطلاقا من قاعدته في التجديد التي تقوم على ركيزتين أساسيتين هما القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ الغزالي: إن القرآن الكريم هو الدستور الأول للإسلام، أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الفقيه الأول فيه، والمفسر الأول له، والمنفذ الأول لتعاليمه، ومن ثم فإن قوله وعمله وتقريره وحكمه ضميمة تؤخذ مع هذا الكتاب [2]، هذه الركيزة لخصها في قوله : المرجع الفذ لتحديد المعنى، وتوضيح المنهج، هو قول الله تبارك وتعالى، ثم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.[3] أي لا يمنك التجديد إلا عن طريق الارتكاز على هاتين اللبنتين الثابتتين، و نظريته في التجديد التي تنص على أن: تجديد الدين يعني توضيح ما أبهم الجهل من تعاليمه، وتمكين ما زحزح التهاون من أمره، وحسن الربط بين أحكامه وبين ما تحدث الدنيا من أقضية، وتنزيل أحوال الحياة المتغايرة على مقتضيات القواعد العامة والمصالح المرسلة[4].

هذه الرؤية الثاقبة للثوابت والمتغيرات في الفكر الإسلامي من طرف العلامة محمد الغزالي رحمه الله دفعت الباحث إلى تناول جزء هام من فكره وفلسفته في نظام الحكم، التي نثرها في طيات كتبه ومقالاته وخطبه، حيث سيحاول الإجابة على سؤال جوهري مفاده : ما هو مفهوم التجديد عند الشيخ الغزالي ؟ وما هي نظرته إلى نظام الحكم في الإسلام، وما هي الشروط الواجب توفرها في الحاكم في زمننا وفقا لنظريته في التجديد والظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية ؟

---

[1] محمد الغزالي (1917/09/22 – 1996/03/09م) عالم أزهري جليل، برز إلى الدنيا في كبوة من تاريخ الإسلام، وأيام كئيبة، ميزها السقوط النهائي للخلافة الإسلامية، وما ترتب عنه من ضياع شبه كامل للمسلمين، وبقائهم بلا راع ولا قائد، فحمل هموم الدعوة والفكر والدفاع عن العقيدة ومحاولة إصلاح الفساد السياسي الذي عم البلاد الإسلامية بعد استقلالها، كتب عن سيرته غير واحد من أصدقائه وتلاميذه، من أمثال يوسف القرضاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، والشيخ عبد الحليم عويس، الشيخ الغزالي مراحل عظيمة في حياة مجاهد عظيم، محمد عمارة، الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية، وتلميذه مسعود موسى فلوسي الذي كتب الشيخ الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود وغيرهم، أنظر مسيرة حياته في كتاب الدكتور موسى فلوسي، الشيخ الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1424هـ – 2003م.

[2] محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، دار المستقبل، الجزائر، دت، دت،ص161.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص162.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا : مفهوم التجديد عند محمد الغزالي

ينطلق فكر الشيخ محمد الغزالي في التجديد من خلال نظرته إلى حال الناس والإسلام اليوم وما كان عليه الناس في الزمان الأول حيث يرى أن هذه الرسالة التي خلدها التاريخ لم يعط لها أهلها تلك المكانة والأهمية التي منحها لها أسلافهم وهو ما عبر عنه بقوله: إن الرسالة التي استقبلها العالم قديما استقبال المقرور للدفء، واستقبال المعلول للشفاء هانت على الناس فلم يروا ما يستحق التناول، وهانت على أهلها فلم يدروا منها ما يرفع خسيسهم ويحمي محاربهم... وإن النبي العربي محمدا قدر بسنته على إحياء أجيال بدّلت الأرض غير الأرض، وحطّمت إمبراطوريات ذاهبة في الطول والعرض[1].

كما أن غلق باب الاجتهاد في أوائل القرن الخامس الهجرى جعل الناس ينظرون إلى بعض آراء المذاهب أنها توجب الإلزام، وهي أصول في الدين لا يمكن تغييرها لأنها هي وحدها التي تعبر عن الفهم الصحيح له. فنقد هذه الفكرة بقوله : الآراء والمذاهب تجمع بين الخطأ والصواب، وإلزام المسلمين بها لا أصل له، ووقوف الفكر عندها وحدها قصور ما أنزل الله به من سلطان[2].

ومن خلال هذا الفهم الثّاقب رأى الغزالي أن الأمة الإسلامية قد مالت عن جادة الصواب ولا بد لها من التجديد فاهتم به، وأعطى له حيزا هاما من فكره وقلمه ونظر إليه من عدة زوايا، كيف لا وهو الرجل المتأثر في صغره بمدرسة رشيد رضا التجديدية الإصلاحية التي وصفها بقوله : صالحت بين السلف والخلف والعقل والنقل والاجتهاد والتقليد، ورسمت أهدافا واضحة للنهوض بالعقل الإسلامي والطب لأمة عليلة[3]، وفي ما يلي نعرض أهم مفاهيم ومناحي التجديد عنده:

– تجديد الإسلام هو هداية الفطر أن تلمح بريقه، وتأخذ طريقه، وتصون حقوقه بدافع من الحب والرضا والاقتناع[4]، ويحتاج هذا النوع إلى رجال الدعوة الأكفاء القدرين على التأثير في عامة الناس.

– وتجديد الإسلام على نحو يفصله عن الدولة والمجتمع والحياة العامة تمهيد لإقباره والتعفية عن آثاره[5]، وهذه رسالة إلى دعاة فصل الدين عن الدولة والحياة .

– تجديد الإسلام هو إحكام الصلة بينه وبين قافلة الحياة، لا ليلاحق سيرها فحسب، بل ليشرف على هذا السير، ويهيمن على اتجاهاته، وبذلك يكون الزمام لهداية الرحمان، لا لهزات الشيطان [6]، وهذه دعوة إلى تطبيق الإسلام في أرض الواقع، ومطابقة القول للعمل.

---

[1] محمد الغزالي، هموم داعية، منشورات العالمية للإعلام، مطبعة دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص24.

[2] محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، ص171.

[3] محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، القاهرة، ط 4، ص 53.

[4] محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، ص169.

[5] المصدر نفسه، ص 168.

[6] المصدر نفسه، ص169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتجديد الإسلام ليس نقل الدين من مكانه إلى حيث يهوى الناس، بل نقل الناس من نطاق أهوائهم إلى حيث يرضى الله. ومعنى ذلك أنه على المسلم أن يكبح هواه، ويخرج من دائرة الابتداع في الدين، وهو عين الهوى.

– التجديد لا يمكن أن يمس الأحكام التشريعية الثابتة في الكتاب والسنة، ولا مجال للحاكم أن يخوض فيها ، أو يغير أوصافها : إذ أن الناحية التشريعية في الإسلام يستحيل أن يقبل فيها رأي يعزل الدولة عن الدين، ويجعل الأحكام، وأنواع الحدود والقصاص وسياسة الدعوة والجهاد من شؤون الدنيا التي تتغير أوصافها وقوانينها بتغير العصور. وهذه هي الركيزة الأساسية والنقطة الجوهرية التي يبنى عليها مفهوم التجديد عند الشيخ الغزالي، فالتجديد لا يكون في الأصول والثوابت، وإنما يكون في الفروع، ثم إن للحاكم دور بارز في إرساء قواعد التشريع، وهو المسؤول الأول عن تطبيق الأحكام وحمايتها[1].

ومن خلال هذا العرض يمكن القول أن التجديد في فكر الشيخ الغزالي هو إحياء للمبادئ والقيم الإسلامية من جديد، وبعث الحياة في الأمة الإسلامية في شتى الميادين بما يوافق العصر، استناد إلى الأصول الثابتة في القرآن والسنة.

ثانيا: محمد الغزالي والخلافة الراشدة:

غاص فكر محمد الغزالي في فقه الخلافة الإسلامية واستخرج منها ما ينفع الناس، وطرح عنها الزبد، ولم يشذ موقفه عن موقف السلف من الخلافة الراشدة، حيث يرى بأنها النموذج الوحيد الذي جسد معنى الاستخلاف في الإسلام بكل معانيه، كما أنها المرجع الوحيد الذي يمكن اعتماده، كي نصل إلى تحقيق الاستخلاف الذي أنزل لأجله آدم عليه السلام إلى الأرض. وهو يرى أن الخلافة بيعة حرة، وهي أمانة ثقيلة يطلب لها أعظم الناس تقى وعلما[2]. وذلك سر ترشيح عمر بن الخطاب ستة من كبار الصحابة وهم : عثمان بن عفان، عبد الرحمان بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاس، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله[3].

وقد تجلى موقف الشيخ الغزالي تجاه الخلفاء الراشدين من خلال عودته دائما إلى مرحلة حكمهم للاستدلال بها تارة على إمكانية عودة الحياة والريادة إلى أمة الإسلام من جهة، أو الدفاع عنها تجاه مطاعن الغرب من جهة أخرى أو بيان فضل الخلفاء الراشدين على الأمة تارة أخرى، أو الرد على المنحرفين والشانئين من أهل الملل والنحل الإسلامية في أحيان أخرى .

فعلى صعيد الاستدلال والدفاع عنهم نضرب مثلا بموقفه من أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يقول عنه : إن الخليفة الأول أدى واجبه أداء كريما وسط الأعاصير التي واجهت الإسلام من قبل الفرس والروم جميعا[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص 166.

[2] محمد الغزالي،حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص57.

[3] المصدر نفسه ، ص56.

[4] المصدر نفسه، ص 55.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب نظرات صارمة في حياطة الدين ورعاية أمته، والارتفاع بالحكم عن مستوى الشبهة، والتزام منطق الورع فيما يتصل بالمال العام[1].

كما يذكر عن علي بن أبي طالب أن بعض القوم أرادوا منه أن يجعل الخلافة في ولده الحسن رضي الله عنه فأبى أن يقع في مثل المحظور الذي وقع فيه بنو أمية[2].

وقد تجلى موقف الشيخ الغزالي رحمه الله من الخلفاء الراشدين وخلافتهم في موقف خلده التاريخ حيث ذب عن الخليفتين المظلومين عثمان وعلي رضي الله عنهما في حواره مع عبيد حسنة حيث قال: الخلافة الراشدة لها قسمان : قسم معترف بأن لا نظير له (دولة أبي بكر وعمر)، وأنا أرى أن عثمان وعلي رضي الله عنهما بالرغم مما حولهما من لغط كثير، يمثلون فعلا الخلافة الراشدة لأن عثمان رضي الله عنه لم يفكر قط – بتعبير العصر – بأن يطلق الرصاص على الجماهير، بل كان طيعا في أيدي الجماهير، وشاعرا بأنه لا يملك الأمر برمته[3] . ويحمل الجماهير مسؤولية ما وقع من فتنة وأحداث في زمنهما لانبهارهم بحرية الإسلام، وسوء استغلالهم لتلك الحرية التي منحها لهم فيقول : ولعلي أظن أن العرب فوجئوا بهذا اللون من النظام الذي أعطاهم حريات ما كانوا يحلمون بها، فلم يحسنوا استغلالها فكان رد الفعل أن سلبوا الخلافة الراشدة[4].

ثالثا :موقف الغزالي من نظام الحكم بعد الخلفاء الراشدين

يعتبر محمد الغزالي نظام الحكم بعد الخلفاء الراشدين ملكا عضوضا أساء إلى المنظومة الإسلامية وقوانينها في الحكم أكثر مما نفع، وذلك بسبب تغير ذهنية الحاكم، ومدى تعلقه بالإسلام وتطبيقه لأحكامه على أرض الواقع ، حيث خرج الحكام عن الغاية التي وضعوا لأجلها والتي لا تعدو إلا أن تكون تحقيق المصلحة العامة و المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، وطغت على أنفسهم المصلحة الشخصية التي وإن اتسع نطاقها فلن تخرج في النهاية من مصلحة الأسرة والحاشية .

يقول الشيخ رحمه الله واصفا الحكم بعد مرحلة الراشدين : عندما أنظر إلى تاريخ الإمامة العظمى فأرى عناصر محدودة قد احتكرت المنصب الضخم بضعة عشر قرنا فماذا أقول؟ إن الإسلام لم يسقط القياصرة والأكاسرة والفراعنة ليقوم باسمه حاكم يتسمى بالخليفة وهو فرعون مقنع[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص60.

[2] محمد الغزالي، حقوق الإنسان، ص 57.

[3] عمر عبيد حسنة، كيف نتعامل مع القرآن، في مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1420هـ – 1999م، ص191.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1427 هـ – 2007 م، ص111.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الأمر هو سر تكالب الصليبية والتّتار على بلاد الإسلام، يقول الغزالي معلقا عن تحول الخلافة إلى ملك : ثم جاءت أيام الملك العضوض فأصبحت بقرة حلوبا... فلما هجم الصليبيون على فلسطين ، كان التقطع في كيان الأمة الكبيرة قد بلغ مداه، ولولا أن مذبحة بيت المقدس طمّت وعمّت واستحال حصر أبنائها لبقي النائمون نياما[1] .

ويصف هذه المرحلة بأنها غير راشدة فيقول : الخلافة التي جاءت من بعد سواء كانت أموية أو عباسية، كانت غير راشدة لأنها جاءت بطريق كسرى عن كسرى، الخليفة مات فالحكم وراثي، ويتحايلون على ذلك بالمبايعة، ما قيمة المبايعة[2] ؟

وخرج مفهوم الخليفة عن مقصده الذي هو، وصار مجرد ألقاب لا تغني من الحق شيئا، ودفعت الأمة الثمن، يقول الغزالي: لم تلبث الخلافة غير قليل حتى دفعت ثمن بلادتها فاجتاحها التتار وجعلوها خبر كان، ولم تغن الألقاب الخادعة من مسترشد بالله، ومقتف لأمر الله، ومستنجد بالله وغيرها[3].

كما يرى محمد الغزالي أن الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل قد اقترفت أخطاء اجتماعية وسياسية خرجت بها عن نصوص الكتاب والسنة، وهذه الأخطاء لم تحسب على أنها سياسة ملوك جورة بل أنها حسبت على أنها هدي الإسلام نفسه[4].

وفي معرض مقارنته بين الخلافة الراشدة وما تلاها من الحكم ومدى العلم بالإسلام وتطبيقه يقول الغزالي: كان العلم بالإسلام والعمل به يبلغ (100%)، على عهد الخلافة الراشدة ثم أخذت هذه النسبة تنحدر وتهوي حتى حكمت باسم الإسلام دول لا تكاد تعلمه أو تعمل به، ثم هي مع هذه الجهالة الطامسة حريصة على القول بأنها تمثله أصدق تمثيل[5]، ويرجع علة ذلك كله إلى الاستبداد السياسي، وزوال مبدأ الشورى، وتبديلها بمبدأ الوراثة، والتي اعتبرها عبادة جديدة أطلق عليها مصطلح "عبادة القصور" فقال: إن عبادة القصور على امتداد العصور ديانة خسيسة خلقها الحكم الفردي، وزحم محاربيها بالأقزام والأفاكين، وهي ديانة زاحمت الإسلام الحق وهزمته في ميدان الحياة العملية[6].

ولعل أهم فجوة يراها الشيخ الغزالي في الحكم الذي تلى مرحلة الراشدين وامتد زمانه حتى القرن العشرين هو ذلك الخصام اللا متناهي بين السلطة الحاكمة و سلطة الفقيه وأعطى لنا مثالا عن تلك الفجوة بالأئمة الأربعة فقال : أبو حنيفة قتل في السجن – على الأشهر أو على الأغلب – ومالك ضرب لأنه أفتى فتوى أغضبت الحاكم في عهده، وابن

[1] محمد الغزالي، هموم داعية، ص 36.
[2] المصدر السابق، ص 191.
[3] المصدر السابق، الصفحة نفسها.
[4] محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، ص 170.
[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[6] محمد الغزالي، هموم داعية، ص54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حنبل ضرب ضربا مبرحا وكاد يموت في سجنه لولا لطف الله به، والشافعي قبض عليه وامتنع عن القضاء لأنه وجد أن الأمور تسير سيرا سيئا[1].

وحتى لا يظلم الرجل، ويظلم من أنصف من الحكام بعد مرحلة الراشدين فإن الشيخ الغزالي كان دائما يشير إلى بعض الفترات النقية من الحكم الإسلامي أيام بني أمية أو بني العباس أو حتى العثمانيين، ولأدل على ذلك قوله : أعترف بأن عددا من ملوك الإسلام أسدى إلى دين الله خدمات جليلة، وعاش صواما قواما، يحكم بالعدل، وينصح للأمة، ويؤثر الآخرة، يجاهد في سبيل الله... وإن كان قد وصلوا إلى الحكم بوسيلة باطلة، فإنهم قد سوغوا بقاءهم بتبني غايات الدين، وإظهار شعائره[2].

رابعا : أسباب انتكاسة المسلمين

يرجع الشيخ الغزالي أسباب انتكاسة المسلمين وتقهقرهم إلى ثلاثة عوامل أساسية وهي: عدم كفاءة الجهاز الحاكم ، خلل القاعدة في فهم الإسلام وابتعادهم عن تعاليمه، أما العامل الثالث الذي ركز عليه الشيخ الغزالي فهو العامل الخارجي

أ/ عدم كفاءة الجهاز الحاكم : ويتجلى ذلك حسب الغزالي في قراءته التاريخية للحكام المسلمين الذي تتابعوا بعد الخلفاء الراشدين، فبعد أن تقلد الأمر بنو أمية بدأ الفساد السياسي فكان أول ما قام به معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه– أن تخلى عن المبدأ الأساسي الذي قام عليه الحكم الإسلامي قبله، وهو مبدأ الشورى وأحل محلها الملك العضوض ، فجعلها في عقبه، ولم تخرج السلطة من أيدي بني أمية إلى بني العباس إلا عن طريق السيف، ثم ما لبث أن دبت الفرقة في صفوف المسلمين، فصارت بلادهم إمارات متناثرة، وما أن انقضت مدة من حكمهم حتى صار الأمر في يد غيرهم، ولم يبق لهم من الخلافة إلا اسمها، ليكون الدور بعدها إلى العثمانيين، وأقل ما يقال عن الكثير من سلاطينهم – وإن حافظوا على وحدة المسلمين – قوله : وقد كانت الخلافة عندما تولاها الجنس التركي قد أصبحت شبحا عليلا، ومع أن الخلفاء الأتراك كانوا أقرب إلى السلاطين الجبابرة منهم إلى أمراء المؤمنين، وحراس اليقين ودعاة الحق وهداة الخلق[3].

وقبل سقوط الخلافة بما يقارب القرن من الزمان كانت معظم البلاد الإسلامية الخاضعة للحكم التركي قد سقطت فريسة في أيدي الاستعمار الصليبي . لتغرق بعد استقلالها في مستنقع الشيوعية والرأسمالية.

ب/ خلل القاعدة في فهم الإسلام وابتعادهم عن تعاليمه : يضرب الغزالي مثالا عن عقلية الصحابة والسلف في كيفية تعاملهم مع الدين ومدى حرصهم على التمسك بتعاليمه ؛ بل والأهم من ذلك كله فقد عرف غاية خلقه، يقول الغزالي : كان الأعرابي الساذج يتعرض إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على ناقته يطلب منه أن يعلمه الإسلام ويمسك بزمام الناقة حتى يسمع، ويحدثه الرسول الملهم بما عنده، فيصنع منه إنسانا جديدا عامر القلب بأمجاد

[1] محمد الغزالي، فقه الدعوة ملامح وآفاق (كتاب الأمة)، حوار أجراه حسن عبيد حسنة، مع الشيخ الغزالي ونخبة من المفكرين، 131.
[2] محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرن الكريم، ص111.
[3] محمد الغزالي، قذائف الحق، ضمن سلسلة الوعي العلمي، منشورات دار الكتب، الجزائر، دط، 1990م، ص171.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الألوهية وأضواء الوحدانية، والرغبة الهائلة في تطويع الكون كله لمراد الله تعالى، فلا ترى هذا الأعرابي بعد ذلك إلا قذيفة تدك عروش المستبدين في فارس، أو الرومان[1].

فشخصية المسلم اليوم تحتاج إلى إعادة بناء وهيكلة من شتى الجوانب العقلية والروحية، والأخلاقية، وهو ما طرحه الغزالي من خلال مجموعة من كتبه في هذا الجانب منها الجانب العاطفي من الإيمان، وسر تأخر العرب و المسلمين، ليس من الإسلام، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، والمحاور الخمسة للقرآن الكريم وغيرها.

وفهم الإسلام يحتاج إلى ارتفاع الإنسان المسلم إلى مستوى الرسالة العالمية، ولا يمكن الوصول إلى النتائج المرجوة من خلال العقلية المتحجرة التي لا تخرج من الفهم المحلي للإسلام، ففهم الإسلام أو تدريسه على أنه نهضة عربية أو يقظة محلية أكذوبة كبرى، كذلك تناوله من زاوية خاصة، وعدم الوصول بمعانيه إلى أبعادها الأبدية[2].

ج/ الفرقة والعرقية وتشتت الكلمة : دعا الإسلام إلى الوحدة واجتماع الكلمة، وتحقق للمسلمين النصر والقيادة، حين تمسكوا بهذه القاعدة، لكن حين تنصلوا منها ودبت الفرقة فيهم صاروا لقمة صائغة في يد أعدائهم، لذلك عدها الشيخ الغزالي من أسباب انتكاسة المسلمين وضياع مجدهم، يقول الشيخ الغزالي في تفسيره لحال المسلمين اليوم : المسلمون اليوم خمس سكان العالم، وأرضهم مستنقع لجراثيم الفرقة كلها، فهم سبعون حزبا بأسهم بينهم شديد على حين ترى اليهود- وهم عشر معاشرهم – قد وحدوا صفهم، وقاتلونا جبهة متساندة متعاضدة فنالوا منا وما نلنا منهم شيئا[3].

ويقول عن العرقية : يحزننا أن المسلمين المعاصرين قد سرت إليهم العدوى من أهل الكتاب، فنسوا الوحي ورفعوا في أوطانهم شعارات أخرى عرقية ودنيوية مبتوتة العلاقة بالله، ونحن نجاهد للعودة بالأمة إلى كتابها وتراث نبيها، حتى تحكم دنيا الناس بدين الله[4].

د/ العوامل الخارجية : حين يعالج الشيخ الغزالي هذا العامل نجده يهتم كثيرا بالأساليب التي يستعملها الغرب لأجل تقويض البلاد الإسلامية حكاما ومحكومين، إبقائها في ذيل الأمم، فالغرب في نظر الغزالي درس الإسلام ومناهجه، وتحكم في نقاط الضعف التي أن تجاوزتها الأمة الإسلامية استطاعت أن تعود إلى أمجادها فراح يبث سمومه في جسد الأمة، ويعمل على شل حركتها.

ومن بين أهم ما ركز عليه الغرب في عمله على تشتيت الأمة الإسلامية وتجزئة المجزأ ؛ إثارة النعرات القبلية، وتأجيج الصراع المذهبي، وإثارة مشكلة الأقليات الدينية في البلاد الإسلامية، وخير شاهد على طرحه هو محاولة تقسيم السودان – التي قسمت فعليا ولم يشأ الله أن يعيش الشيخ ويرى ما حذر منه قبل ثلاثة عقود من الزمن رأي العين- ، يقول الغزالي:

[1] محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، دار الهناء للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، دط، دت، ص 128.
[2] محمد الغزالي المصدر السابق، ص127.
[3] محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق ن القاهرة، ط 10، 1429ت -2008 م، ص136.
[4] المصدر نفسه، ص 459.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك قضية تثار أمام الوحدة الإسلامية، تبدو للوهلة الأولى كأنها مشكلة، وبعد التأمل الجاد تتكشف أنها مهزلة أي مهزلة، أعني قضية الأقليات التي افتعلها الاستعمار افتعالا يشف عن مكره السيئ بالإسلام وأمته[1].

كما نجح الغرب في توظيف الموالين له من المرتدين عن الإسلام من حكامه في آخر معاقل الخلافة ووجهوا إلى أمته ضربة أصابت عموده في الوقت الذي اجتمعت فيه واتحدت أجناس لا دين لها، يقول الغزالي استطاع أعداؤها الأيقاظ المكرة أن يستأجروا أحد الساسة المرتدين ليدفن الخلافة المعتلة، وليمزق الرسالة التي أهانها أهلها، ويعلن البعد عنها... وجعل الأمة الكبيرة تحيى بلا كافل يحنو ويكافح، وانقطعت العروة التي كان يهفوا إليها المسلمون في المشارق والمغارب[2].

يضاف إلى ذلك تشجيعهم للأقليات الدينية على نشر المسيحية، والمطالبة بحقوق أوسع، ولعل خير الأدلة التي نذكرها في هذا المقام ما قام به البابا اشنودة والأقباط في مصر حيث سنة 1973م، حيث منع تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة [3]، وطلب من المسيحيين العمل على زعزعة المسلمين عن دينهم والتمسك به على ألا يكون من الضروري إقناعهم بالمسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد[4].

خامسا: شروط الحاكم في العصر الحديث

وضع الشيخ الغزالي الشروط الواجب توفرها في الحاكم المسلم انطلاقا من دراسته للواقع الإسلامي المنحط في الداخل، وما يحاك ضد أمة الإسلام من تآمر في الخارج، فواقع المسلمين في الداخل ناتج عن ذهنياتهم الانهزامية، ودكتاتورية حكامهم التي وجدت بقصد أو بغير قصد من يرسي دعائمها باسم الدين، وصار حكمهم جزء أصيلا وركنا من الشريعة، ومن هنا تساءل الشيخ عن سر بقاء الحاكم في بلاد الإسلام في مركزه الذي لا يصلح له، بينما يحدث العكس في جميع أقطار العالم الأخرى، يقول الغزالي: في القارات الخمس تعطى الشعوب الحق في أن تستبقي الحاكم الذي تحب، وتستبعد الحاكم الذي تكره، فما الذي يجعل الأمة الإسلامية تشد عن هذه القاعدة في أغلب أقطارها... مع أن هناك من الحاكمين من يرفض علانية الولاء للإسلام... ومن يفتخر بتحلله من روابط العقيدة، ومن لا يرى بأسا بتحليل الحلال وتحريم الحرام، ومن لا يبالي بقتل الألوف المؤلفة من الناس توطيدا لسلطانه [5].

ومن ناحية أخرى يدرس الشيخ الغزالي فكر أعداء الإسلام وخططهم التي لا تريد الخير للإسلام وأهله، وتعمل جاهده على بقاء الصدع بين أبناء الدين الواحد، وعدم اجتماعهم على خليفة واحد، فنقل نصا لوزير المستعمرات البريطانية " **أومرسي غو** " وجهه لرئيس حكومته في 1938/01/90م – أعتقد أنه لا يزال ساري التطبيق على أمة الإسلام إلى يوم الناس هذا – توصل إليه بعد تجربة ربع قرن من الاهتمام بالشؤون المسلمين يقول فيه : (إن الحرب علمتنا أن الوحدة

[1] محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، ص131.
[2] محمد الغزالي، هموم داعية، ص 75.
[3] محمد الغزالي، قذائف الحق، مصدر سابق، ص79.
[4] المصدر نفسه، ص82.
[5] محمد الغزالي، المصدر السابق، ص46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، ليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضا – ثم يقول – من دواعي فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالت، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة، إن سياستنا تهدف دائما وأبدا إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك[1].

ولا نعرض ذلك إلا لأن الشيخ الغزالي يرى أن إعادة الخلافة الإسلامية فرض عين على الأمة، وهي لازمة شرعا وواقعا لتبليغ الدعوة إلى العالم وحمايتها، والدفاع عن المستضعفين من المسلمين، وعن قضايا الإسلام في أنحاء الأرض[2].

ومن خلال هذه المقدمات خرج الشيخ الغزالي بالشروط الواجب توفرها في الحاكم المسلم وهي:

1/ العمل بمبدأ الشورى : وذلك لما لها من دور مهم في حماية عرى الإسلام وحفظ كيانه من التصدع والفرقة، كما أنها من زاوية أخرى ترد الحاكم إلى حجمه الطبيعي كلما حاول الانتفاخ والتطاول[3]. وقد ذكرنا أن الشيخ الغزالي قد ركز كثيرا على هذا الشرط وتمسك به لأنه من الفوارق الجوهرية بين الخلافة الراشدة العادلة والحكم الجائر ؛ يقول الغزالي : لو كان الحاكم يتولى شؤون ضيعة خاصة له لجاز له أن يستعين بمن أحب، ولكن الأمر يتصل بمصلحة أمة ورسالتها، ولذلك فمن حق الأمة أن تطمئن إلى رجال الشورى هؤلاء، وأن تثق من تمثيلهم لها ومن وفائهم بحقوقها[4].

2/ سعة الصدر وقبول المحاسبة : وضرب لهذا الشرط مثلا عما كان عليه أمر الخلفاء الراشدين، وذكر الحادثة التي دارت بين عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهما حيث عرض سلمان لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال: نرى ثوبك طويلا سايغا، وكلنا كميش الإزار؟ ما حصل أحدنا إلا على ملبس قصير فمن أين لك؟ وأحس عمر كأنه متهم باستغلال الحكم فقال: قم يا عبد الله بن عمر فحدث الناس، وقام عبد الله يقول : إن نصيب أبي من الثياب الفرقة لم يكن يغنيه لأنه رجل طوال، فمنحته ثيابي ليكمل حلته[5]. وهذا ما جعل الشيخ الغزالي يركز على شرط قبول الرقابة فيقول : : إذا باشر حاكم ما سلطات الوظيفة المخولة له فإن يده ليست مطلقة يفعل ما يشاء، بل هو يتصرف تحت رقابة الأمة التي يريد أن يطمئن إلى سلامة مصالحها[6].

[1] محمد الغزالي، هموم داعية، ص73.
[2] يوسف القرضاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1،1421هـ - 2001م، ص284.
[3] محمد الغزالي، المصدر السابق، ص 53.
[4] محمد الغزالي، حقوق الإنسان، ص62.
[5] المصدر السابق، ص 54.
[6] محمد الغزالي، حقوق الإنسان، ص 59.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3/ أن يدرك أن الحكم مسؤولية مؤرقة وليست مغنما : فالحاكم مسئول عن كل شر يحدث في البلد التي يحكمها لذلك قال : عليه أن لا يعتبر مكوثه في الحكم مغنما، قدوته في ذلك كما حكوا عن هارون الرشيد أنه رأى غيمة مارة فقال لها: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك[1].

4/ امتلاك نصاب من الكمال النفسي والعقلي : حيث يرى الشيخ الغزالي أن هذين الجانبين مهمين في شخصية الحاكم حتى يستطيع تحمل الأمانة لذلك قال : هناك نصاب من الكمال النفسي والعقلي لا بد من تحصيله لمن يريد خدمة الدين وإقامة دولة باسمه، واكتمال هذا النصاب لا ينمو بغتة، و إنما يتكون مع سياسة النفس الطويل[2].

5/ أن يمتلك شخصية متكاملة تجمع بين رعاية حسن إدارة شؤون الدنيا والآخرة : يقول الغزالي لأمر ما كان الإمام العادل أول من يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، ولأمر ما كان يوم واحد من أيامه أفضل من عشرات السنين في عمر عابد، إن خيرا لا حدود له ينشأ من صلاح الحاكم وعبقريته في حراسة الحق وخذلان الضلال، وإنصاف الجماهير وتحقيق المثل العليا[3].

6/ إن يعطي القرآن والسنة مكانيهما في ظل الانفتاح على العالم وفشو العلوم والمعارف الوافدة : وهذا لا يعني أن الشيخ الغزالي ينفي بالكلية المعاصرة، وإنما قصده من ذلك استحالة أن يكون العقل الغربي على نفس القدر من العقل المسلم ذلك أن الأخير مرتبط بالوحي والآخر يعتمد فقط على الاستدلال الإنساني القاصر، يقول الغزالي : لا أزهد في حصاد الذكاء البشري مهما كان موطنه بيد أن ذلك لا يعني تأخير ما لدي واستقبال الجديد بحفاوة تنسي الأصيل ؛ إنني أعرف الله عن اتصال فلدي النبوة وبين يدي الوحي ... وغيري يعرف الله عن استدلال لأنه محروم من العلاقة التي ظفرت بها .

7/ إحاطته بالعلاقات الدولية ومعرفة بمذاهب أهل الإسلام في الأصول والفروع : معرفة الحاكم في نظر الغزالي بالعلاقات الدولية يقي بلاده من شر المؤامرات الخارجية، ومعرفة مذاهب المسلمين في الأصول والفروع يقي الحاكم من التصدعات في الداخل، ويسهل له مهمته، حتى لا يصدر منه ظلم تجاه رعاياه، وهذا ما أشار إليه الشيخ الغزالي بقوله : كم من طالب حكم لا يدري عن العلاقات الدولية، والتيارات العالمية، والمؤامرات السرية والجهرية ... وكم من طالب حكم باسم الإسلاميين لا يعرف في الفروع والأصول، فلو حكم لكان وبالا على إخوانه في المعتقد، يفضلون عليه حكم كافر عادل[4].

عادل[4].

8/ أن يقيم شرائع الدين: إذا لم يقم الإمام بواجبه تجاه شرائع الدين أو أعوج وجب نصحه من طرف أهل العلم و إن لم ينزجر وجب خلعه، يقول الغزالي : إذا جار الحاكم وانحرف وجب على الأمة أن تنقده وتقوم انحرافه وتكشف جوره، فإن

[1] المصدر السابق، ص 55.

[2] محمد الغزالي، الطريق من هنا، دار المعارف، عنابة، دط، دت، ص108.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، دط، 1984م، ص 108.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من طبيعة الأمة الإسلامية أن تتأبى على المنكر[1]. ثم يستند في وجوب خلع الحاكم الذي لا يطبق الشريعة بموقف الإمام ابن حزم الذي يقول : والواجب إن وقع شيء من الجور – وإن قل – أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه، فإن امتنع، وراجع، وأقام حد الزنا والقذف والخمر، فلا سبيل إلى خلعه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه، فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه، ولم يرجع وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ المائدة: ٢ ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع[2].

[1] محمد الغزالي، حقوق الإنسان، ص62.
[2] المصر نفسه، ص64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة :

من خلال هذا العرض حول فكر الشيخ الغزالي وموقفه من الحكم توصلنا إلى النتائج التالية:

- أنه على الرغم من كثرة الكتابات حول شخصية الشيخ الغزالي وفكره، فإن هذا الأخير يحتاج إلى مزيد من الجهد خاصة فيما يتعلق بمواقفه من الحكم.
- يتطلع الشيخ الغزالي إلى رؤية الإسلام سيدا وقائدا للإنسانية، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق العودة إلى ما كان عليه الخلفاء من صلاح وتقوى وحسن تسيير للدين والدنيا.
- تجديد الفكر ومواكبة الحكم الإسلامي للعصر لا يعني – في نظر الشيخ الغزالي – الانسلاخ من عرى الدين، والبعد عن مصادره الثابتة.
- لا يمكن تجاوز الأخطاء التي وقع فيها الحكام المسلمين بعد الخلافة الراشدة إلا عن طريق إزاحة الخلاف بين الفقهاء والحكام .
- الفساد السياسي جنى على الإسلام وضيع مكانة المسلمين بين شعوب العالم.
- لا بد من الاستفادة من التجارب التي مر بها الحكم في الإسلام لتفعيل إيجابياته واستثمارها، وطرح سلبياته.
- لا بد من توفر جملة من الشروط فيمن يتقدم إلى منصب قيادة الأمة، ومن أهم تلك الشروط امتلاك القدر الكافي من المعرفة بالسياسة الخارجية، ومعرفة الأصول والفروع و مذاهب المسلمين ونحلهم.
- الشورى من أهم الركائز التي يقوم عليها الحكم العادل، وبفقدها في نظام الأمة الإسلامية فقدت مكانتها بين الأمم.
- الحكم مسؤولية عظيمة، وليس لكل فرد من عموم الأمة أن يترشح إليه إلا إذا توفرت فيه شروط القيادة الإسلامية .
- توحيد الأمة الإسلامية شيء لا مناص منه إذا أرادت أن تمتلك قيادة الإنسانية.

وفي الأخير نسأل الله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع في صالح الاعمال، وصلى الله على نبينا محمد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع:

1- يوسف القرضاوي، الشيخ محمد الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط 1، 1421 هـ – 2001 م.

2- عمر عبيد حسنة، كيف نتعامل مع القرآن، في مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1420 هـ – 1999 م .

3- محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 6، 2005م.

4- محمد الغزالي، الطريق من هنا، دار المعارف، عنابة، دط، دت.

5- محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرأن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1427 هـ – 2007 م.

6- محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، القاهرة، ط 4، ص .53

7- محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، دار الهناء للطباعة والنشر، برج الكيفان، الجزائر، دط، دت.

8- محمد الغزالي، فقه الدعوة ملامح وآفاق (كتاب الأمة)، حوار أجراه حسن عبيد حسنة، مع الشيخ الغزالي ونخبة من المفكرين.

10- محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، دار المستقبل، الجزائر، دت، دت.

11- محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، دط، 1984م.

12- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط 10، 1429ت -2008 م .

13- محمد الغزالي، هموم داعية، منشورات العالمية للإعلام، مطبعة دار هومة، الجزائر، دط، دت.

14- محمد الغزالي،حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

15- مسعود بن موسى فلوسي، الشيخ الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1424هـ – 2003 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com